المؤلِّف والمتلقي الرَّقمي نحو خطابٍ إبداعيٍّ مشترك

Author and digital recipient Towards a joint creative discourse

فائزة زيتوني*

تاريخ الإرسال: 2023/12/31	تاريخ القبول: 2024/01/31	تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:

شهد الأدب العربي تحولات ونقلات نوعية؛ فمن الأدب الشفهي، إلى الادب الشفهي المكتوب أو المدوّن، ثم إلى الأدب المكتوب أصلا ورقيا وبعدها الأدب الورقي المكتوب أو المحفوظ إلكترونيا والآن الأدب التفاعلي الرقمي بالكلية انتاجا وتداولا وانتشارا، وباب الإبداع مازال مفتوح على المزيد من التحديثات والمستجدات؟

وأمام انفتاحنا على الرقمنة، وظهور ما يسمى بالأدب التفاعلي، ستحاول هذه الورقة البحثية الاحاطة بحدود هذا الأدب الرقمي؛ تسمياته، وتعريفاته ثم أهم الاستحقاقات التي يحوزها المبدع التفاعلي، وكذا ما تحقق للمتلقي التفاعلي من امكانات لم تتوفر لسلفه، وأخيرا المحاذير التي تتعلق بهذا المسخ النصي الجديد.

الكلمات المفتاحية: أدب تفاعلي؛ خطاب رقمي؛ المبدع؛ المتلقي؛ الإيجابيات؛ المحاذير.

Abstract:

Arabic literature witnessed qualitative transformations and transfers. From oral literature, to written or written oral literature, then to literature originally written on paper, then paper-based literature written or preserved electronically, and now digital interactive literature in college in production, circulation and spread, and the door of creativity is still open to more updates and developments?

In view of our openness to digitization, and the emergence of what is called interactive literature, this research paper will try to cover the limits of this digital literature. Its designations, definitions, then the most important

***جامعة قاصدي مرباح -ورقلة- faiza.zitouni@gmail.com**

benefits that the interactive creator possesses, as well as the capabilities that were achieved for the interactive recipient that were not available to his predecessor, and finally the caveats that relate to this new textual deformity.

Key words:*interactive literature; digital speech; creator; receiver; Positives; Caveats.*

المؤلف المرسل: فائزة زيتوني faiza.zitouni@gmail.com

*** *** ***

مقدمة:

إنَّ أي مصطلح أدبي أو نقدي جديد ضمن أي اختصاص كيفما كان نوعه، يكتسب دلالته كمفهوم إجرائي من الاختصاص نفسه، حيث يتحدد معناه وفق ما يُمليه عليه النسق العام والسياق الخاص الذي يضعه فيه وكذا التوظيفات والاستعمالات المخصوصة من طرف المشتغلين به، والحقيقة أنَّ هذا هو مردُّ الاختلاف الحاصل في دلالات المصطلح الواحد، تبعا لاختلاف الاختصاصات والتصورات العامّة لأصحابها.

سيكون حديثي في هذه الورقة البحثية عن مجال شَكّل الحَلبة الكبيرة التي لعبت على أرضيتها كل تلك المعارف والعلوم أشواطا كبيرة، ألا وهو **المجال الرقمي** الذي لمس مختلف مجالات حياتنا العلمية والعملية الأدبية والثقافية والاجتماعية والسياسية والفكرية... ومنه استهواني الخوض في مصطلح وأهمية: **الأدب التفاعلي[1] أو الأدب الرقمي كمشروع جديد للتداخل والانصهار والبينيّة بين عمليتي الابداع والتّلقي الأدبي معا.**

مع محاولة بيان الرهانات التي سيحققها هذا الأدب؛ ثم الحديث عن المحاذير والسلبيات التي تعوق تبنيه بشكل واسع والتسليم المطلق بكافة نتائجه على صعيد العملية الإبداعية بطرفيها الأساسيين: المبدع والمتلقي.

الأدب التفاعلي *Littérature Interactive*

(التسمية والتعريف والمحتوى الابداعي)

لا ننكر أن الحقول الإلكترونية الرقمية اجتاحت كل الميادين ولمست كل التخصصات ومختلف العلوم والفنون، وقد ساير النص الأدبي الجديد تلك التطورات الهائلة للبرمجيات ووسائل التواصل الاجتماعي، وهو ما ولّد من رحمها وبعد مخاض عسير النص الأدبي التفاعلي، وشأنه شأن كل جديد في المعرفة والأدب تثير البدايات العديد من التساؤلات والشكوك حول جدواه، وصارعا مريرا بينه وبين القوالب التعبيرية التقليدية العتيدة.

علينا أن نؤكد سلفا أنّ المقصود من النص الأدبي التفاعلي ليس ذلك الانتاج الأدبي المنقول أو المعروض أو المتحوّل من الكتابة الورقية إلى الكتابة الرقمية والمنتفع من الوسيط الإلكتروني أو المستعين بالثورة الرقمية بصيغها المختلفة (*WORDDOCUMENT/ PDF / RTF*). بل المقصود به **ذلك الابداع الأدبي الذي وُلد مزامنة في كنف التكنلوجيا (انتج بها وفيها ولمتلقيها) فمادته الخام تزاوج بل تلاحم بين الحرفة الابداعية الفنية والحرفة الرقمية التكنولوجية** وبهذا المولود الجديد شهدنا النقلة والقطيعة بين ما كان ورقيا – بعد قرون من الشفوية- وما أصبح رقميا حاليا[2].

وللأدب التفاعلي عدّة مسميات أدخلته في فوضى من المصطلحات المتعددة الدلالات منها: "

الأدب الرقمي *Littérature Numérique*

والادب التفاعلي *Littérature Interactive*

والأدب الديجيتالي *Digitale Littérature*

والأدب الإلكتروني *électronique Littérature*

والنص المترابط أو النص المتشعّب *Hypertexte*

والأدب الآلي *Littérature Electronique*

والأدب الروبوتي *Littérature Robotique*

والأدب المبرمج *Programmée Littérature*

والأدب الحاسوبي ***Littérature Par Ordinateur***

والأدب اللوغارتمي ***Logarithmique Littérature***

والأدب الإعلامي ***InformatiqueLittérature***

والأدب الويبي ***WepLittérature De***

والأدب الفيسبوكي ***Littérature Par Facebook***

وأدب الشاشة ***La Littérature Sur écran***[3]

والأدب الهاتفي ***TéléphoniqueLittérature***

- والجامع بينها هو اتفاقها على الصيغة الرقمية والبنية اللوغارتمية لهذا الأدب، ونعني برقمنة النصوص" تحويلها إلى سلاسل **الصفر والواحد** (0 - 1)، حتى تصبح قابلة للمعالجة الآلية بالوسائط الإلكترونية، لذلك فإنّ الرقمنة تحيل على الارتباط الوثيق بين **النص وجهاز الحاسوب** الذي تعرض هذه النصوص من خلاله، سواء على مستوى **الإنتاج** أم على مستوى **التلقي**، وهذا ما يجعل النص الرقمي يتميّز عن كلّ من النّص الشفهي والنّص المخطوط والنّص المطبوع الذي تنقّل بوسائط أخرى، لكن **النص الرقمي ليست له صورة ثابتة واحدة**، بل له **تنويعات** عدّة تحقّقت من خلال الامكانات المتعددة التي يُتيحها كلٌّ من الحاسوب والفضاء الشبكي، ومازال الفنيون المشتغلون بالبرمجة يقدّمون الجديد من التقنيات والأساليب، بحيث يصعب الوقوف عند مختلف الأنظمة التي يُبنى عليها هذا النّص"[4]. وقد تولّد عن ذلك التطور الرقمي والحداثة التكنولوجية الأدب التفاعلي: إنّ التفاعلية هي الخاصية الأساسية للأدب الرقمي تقوم بطريقة مباشرة بين المبدع الرقمي والقارئ الافتراضي عبر وسيط النص الأدبي الاعلامي التفاعلي، وهو ما يستوجب الحضور الفيزيائي للمتلقي أمام الشاشة للتفاعل مع المبدع الرقمي.

إنّ الأدب التفاعلي هو ذلك الأدب الذي " يهتمّ بالعلاقات التفاعلية التي تنشأ بين **الراصد والنص على مستوى التصفح والتلقي والتقبّل، وتخضع هذه العلاقة لمجموعة من العناصر التفاعلية الأساسية، هي: النص، والصوت، والصورة،**

والحركة، المتلقي والحاسوب، مع التشديد على العلاقات التفاعلية الداخلية (العلاقة بين الروابط النصية)، والعلاقة التفاعلية الخارجية (الجمع بين المبدع والمتلقي)، أي أنّ الأدب التفاعلي هو: **الذييجمع بين نشاط الكاتب أو السارد ونشاط المتلقي معاً**"[5]وهو ما أقصده بالبينية والتي ستتضح ملامحها أكثر من خلال التفاصيل الآتية:

1/ الاستحقاقات: كل ما سبق ذكره من مستجدات تحققت للنص الأدبي الجديد أثار حزمة من الخيارات والاستحقاقات الحديثة، منها ما هو متعلق بالمبدع ومنها ما هو متعلق بالمتلقي سنحاول استقصاءها واحدة تلو الأخرى فيما يأتي بنظرة تحمل الكثير من الايجابية والتفاؤل، سأحاول الوقوف وسطا لا أنحاز لكفة المروجين لهذا الأدب والمعليين من أهميته وأثره مستقبلا في تطوير حركة الإبداع الأدبي، ولا أرفض التجربة برمّتها وأنتقص منها انطلاقا من منطق تعصبي ورجعي يذود عن الأدب الورقي.

ولنبدأ أولا بما تحقق للمبدع الأدبي من امكانات انتاجية وابداعية لم تكن متاحة له سلفا فنقول:

أولاً المبدع التّفاعلي:

- يشترط هذا النوع من الابداع الأدبي مستوى عال من الثقافة المعلوماتية من لدن المتلقي وتحكم متقن لآليات اللغة البرمجية وتفاصيلها الدقيقة. والمبدع الرقمي مطالب بتطوير مهاراته التفاعلية باستمرار للتحكم في عملية البناء التشاركي وعرض انتاجه على مختلف الواجهات الوسائطية والمنصات التفاعلية.

- أتاحت البرمجيات الجديدة خيارات ابداعية أكثر تنوع بين العلامات اللغوية وغير اللغوية وأيقونات ووسائط جد ثرية تخصب الأبداع وتمنحه نفسا جديدا وروحا عصرية وحداثة وتطور؛ ففيها النص اللغوي المكتوب إلى جانب الصورة والألوان والحركة والموسيقى ومختلف المؤثرات التي تتضافر جميعها لإخراج النص الأدبي التفاعلي في حلة جديدة ومتنوعة ومثيرة وشيقة ترفع من قدرة المبدع الانتاجية وتنم عن حنكته في بناء المادة الأدبية.

- وعليه جاز لنا وصف **النص الأدبي التفاعلي بالحالة الابداعية الأدبية الجديدة**. ومع هذا يجدر بنا التأكيد أنّ تعدد مهام وتخصصات الأديب ليست بالشيء غير المعهود وليس أمر التّداخل بين العلوم واتقان مختلف المعارف من المسائل الجديدة في تاريخ الحضارات والعلوم؛ فالثّقافة الإنسانيّة شهدت عصور الثّقافة الموسوعيّة. فعندما تحدّث العرب عن "الأخذ من كل علم بطرف" كان مفهومهم للعلم أو الفنّ مختلفا وتصوّرهم عن العالم مختلفا أيضا، فقد كان العالم متعدّد الاختصاصات، فكان العالم قديما فيلسوفا ولغويّا وموسيقيا وطّبيبا وفقيها .... حتّى أنّنا لا نكاد نجد عالما اكتفى بتخصّص واحد. وهو ما عنيناه بالبينية في انتاج النص الأدبي من خلال عنوان هذه الورقة البحثية، ولكن الفرق يكمن في أنّ المبدع الورقي القديم لم تتح له الفرصة التي أتاحتها التكنولوجيا الحديثة للمبدع الجديد في خلق نص أدبي مخصب بكل المعارف التي يتقنها ومطعم بعديد الخبرات التي اكتسبها خلال مساره المعرفي، أي أنها خلقت له امكانات واسعة وطاقات هائلة ليظهر كفاءته الأدبية ملفوفة بكل ما يتقنه من معارف وعلوم متباينة من دون أن يشعر بقيود تخنق تجربته الابداعية وتجعلها محدودة الافق أحادية البعد والتأثير.

- إنّه الأدب الذي يوظف المعطيات الرقمية باختلاف أنواعها ويحول الأدب إلى مدونة تفاعلية وسائطية تستثمر كل إمكانيات الشاشة وتستفيد من تقنياتها البصرية والصوتية والتصويرية والكتابة الرقمية، **فتتضافر فيه ومعه هندسة الحرف مع هندسة الرقم والعدد.** يعتمد على اللقطات المتحركة والمشاهد المتغيرة المرفقة بالصوت والموسيقى.

- إن الأدب الرقمي متعدد الوسائط ومتعدد النصوص ومتعدد الأطراف المشاركين والمنتجين والمتفاعلين (ما بين مبدع ومهندس وتقني ومبرمج وراصد ومدوّن ومتلقي متفاعل ومجرد متصفح)

- إنّه أدب مفتوح على التعددية والاشتراكية الإنتاجية (البينية الإبداعية) فتركيبته الرقمية الحديثة والمتطورة تستدعي أن يتدخل في بنائه تقنيون البرمجيات ومهندسون في المعلوماتية، بل لابدّ أن "يشاركه التقني المتخصص في الاعلاميات في بناء نصه

وهندسته لوغاريتميا ورقميا، ومن هنا تعد اللوغاريتمية بنية أساسية في توليد النصوص الرقمية وتشغيلها"[6]. فالمطلوب من المبدع الجديد التمكن أيضا من آليات الاخراج والتقديم السمعي البصري والبرامج المرئية لينتج مادة فلم متميزة لها أغنية بداية ونهاية ومؤثرات صوتية قد ترافق البطل وغيره.

- كما قد يستعين المبدع بعالم الرياضيات والمنطق في تأليف نصّه وإبداعه وإنشائه "سطحا وعمقا وظاهرا، وأكثر من هذا فالبرامج اللوغاريتمية هي التي تسهم في نقل النص الأدبي من عالمه البياني التقليدي إلى عالم إلكتروني سمعي وبصري، في شكل مدوّنات وخطاطات وسيناريوهات حسابية ورقمية"[7].

- ينتج المبدع التفاعلي نصوصا رقمية وفق أبعادها الثلاثية (النص الصورة والصوت) ويهدف إلى إرسال رسالة أدبية مباشرة أو غير مباشرة إلى متلقي افتراضي رقمي، ينتج عنه "خلق تواصل تفاعلي في شكل ملاحظات أو تعليقات أو انتقادات أو ردود فعل مختلفة ومتنوعة"[8].

- إنّ الأدب الرقمي يقوم على تظافر لنشاطين نشاط رقمي آلي وآخر إنساني رمزي، والناتج هو النص الأدبي المتفاعل، والذي يجمع بين "النص والراصد ضمن علاقات تفاعلية سيميوطيقية ... وبالتالي نتحدث عن مقصديتين أساسيتين: مقصدية المؤلف القائمة على الإبداع والانتاج والتشفير والتسنين والتبليغ، ومقصدية المتلقي القائمة على الرصد والتفاعل"[9] وفك شفرات النص وتفكيك رموزه وعلاماته السيميوطيقية بغية بناء نص تفاعلي جديد ومكتمل البناء والدلالة.

- الأدب الرقمي أدب الحركة والدينامية وليس الثبات والسكون، مفتوح على التحولات اللامحدودة والتغيرات البنائية الدائمة بحسب نسب المشاركة والتفاعل القرائي.

- هو الأدب الذي " يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء. ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل، أو تزيد عن، مساحة المبدع الأصلي للنّص"[10].

- بل إننا سنشهد ما دام الأمر كذلك، بينية بين فعل الكتابة والقراءة في حد ذاتهما بين ابداع النص الأدبي وقراءته فالمبدع يدون ويقرأ ردود فعل القراء وتدخلاتهم في نصه والقارئ يقرأ ويبدع ويكتب ويتمم فراغات من شأنها أن تعيب النص، بات المبدع قارئا والقارئ مبدعا والنص حلقة وصل بينهما وملك مشترك لهما. المؤكد أن المعايير النقدية التقليدية للنصوص الأدبية الورقية ستتغير وسيصبح ظفر النص بأكبر قدر من التفاعل وحصوله على نسب عالية من المشاهدة والقراءة والمتابعة والتحاور هو المقياس الحقيقي لنجاح صاحبه، إضافة إلى معايير أخرى جمالية فنية تحققها الامكانات التكنولوجية المتطورة التي حضي بها النص الرقمي.

- النص الجديد أكثر غنا وتنوع واستنفارا للحواس، وهو أكثر تعقيدا وتفرعا استحدث لنفسه طرقا ووسائل مغايرة للإنتاج والتلقي تأتي على دفعات وطبقات وحزم من الوحدات التي تسير وفقا مسار معين رسمه لها المبدع، ولكن النص التفاعلي قد ينمو في اتجاهات مختلفة ومتشعبة، ولا يمكن التنبؤ بالمسار الذي سيسلكه أو الشكل النهائي الذي سيبدو عليه.

- لندرك من ذلك أن التجربة الجديدة تحمل بدل البعد الأحادي أبعاد ثلاثية وأكثر عمادها ليس اللغة فقط بل الحركة والصوت أيضا.

- وعليه تحول المبدع الأدبي من مجرد كاتب لنص أدبي - بفضاء نصي محدود- إلى **مؤلف ومخرج** لإبداع أدبي متكامل العناصر الفنية متعدد الوسائط الرقمية يستهدف غايات تفاعلية مقصودة (نظام الأخيلة- تقنيات التصوير المختلفة- أساليب التعبير- هندسة الصورة والصوت – فضاءات الحركة...).

- للمبدع الجديد مهام تفاعليه مختلفة عما تكبده مبدع الأمس من مشاق، فالعملية الرقمية والخاصية التفاعلية تُحتّم عليه أن يحسن تنظيم وحداته النصية ويبرع في توزيع فقراته الابداعية وفقا لتصور محدد وخارطة مضبوط، فتشعبات روابطه يجب أن تكون متناسلة متكاملة ومتسلسلة ويحيل كل منها على الأخر، فيجعلها المبدع قابلة لاشتغال عملية التفاعل من خلال الاحالة لكلمات أو جمل محددة بلون مخالف تسهل للقارئ ملاحقتها ليدلي بدلوه داخل النص الأدبي بالنقر فوقها والاضافة.

- سهولة الابداع وسرعة الانتشار والرواج.

- اختصار الزمان وطي المسافات، فالنص التفاعلي بإمكانه أن يصل لأبعد نقطة في الكون تصل إليها الشبكة.

- توفير تكلفة الطباعة والنشر والتوزيع ومشقة التنقل وزمن وجهد الدعاية والاشهار وتبعاته كما هو الحال في الأدب الورقي.

- كان المبدع سابقا يلقي بنصه الأدبي الورقي فلا يَرى من يتلقَّفه وبيد مَنْ سيكون بينما تُتاح للمبدع التفاعلي فرصة ذهبية للّتعرّف على متلقي إنتاجه الأدبي، كما وتقدم له المدونة **إمكانات كبيرة في التحكم والأمان والسرعة والدقة والإحصاء والبيانات وجرد المعلومات التي يحتاجها عن متلقي نصه التفاعلي**، فإنه وهو خلف جهازه يرصد **ويراقب ويحصي الحركية التفاعلية النَّشطة لنصّه** عبر مختلف دول العالم، كما ويمكّنه ذلك من تسلّم معلومات دقيقة عن طبيعة المتفاعلين مع نصه (جنسهم، جنسيتهم، أعمارهم، اهتماماتهم، توجهاتهم الفكرية، وظائفهم، هل يتلق النص عبر هاتف ذكي أم جهاز حاسوب أو لوح رقمي، بل وحتى المدّة الزمنية التي يمكثها ذلك المتلقي على جهازه وهو يطالع النص التفاعلي أي زمن قراءته للنص وتفاعله معه[11]...) ومنه أصبح **بإمكان المبدع رصد مسار نصه الإبداعي وأبعاده التفاعلية في حركة ارتدادية واسعة المدى وكأنه صوت الصدى**.

- ذوبان المسافة الزمنية وانعدامها بين زمن الإنتاج والتلقي، حيث أصبحت سرعة انتشار النص الأدبي تفوق سرعة الضوء لأنّها تنتشر عبر حُزم تفاعلية متعددة.

- الظفر بقراء خاصّة من فئة الشباب ونحن نشكو من عزوفهم عن القراءة الورقية وانكبابهم المبالغ فيه على الأجهزة الالكترونية بالمقابل.

- أصبحت الكتابة أكثر مرونة وقدرة على التعديل والحذف والتقديم والأخير.

- التركيز على الجماليات البصرية والسمعية والحركية بالموازنة مع الكتابة الإنشائية الأدبية. أي أنّه "يعطي جرعة من الفن والإبداع عبر قوالب جديدة مطعّمة بالصوت والصورة"[12].

- يسعى النص الأدبي الرقمي إلى أن يترابط مع مجموعة من "النصوص التفاعلية الأخرى التي تتشكل من مكونات آلية وتقنية وإعلامية وبصرية وصوتية ... وأهم مميزاته أنّه غير خطّي لأنّه يتكوّن من مجموعة من العقد أو الشدرات التي يتصل بعضها ببعض بواسطة روابط مرئية، ويسمح هذا النص بالانتقال من معلومة إلى أخرى عن طريق تنشيط الروابط التي بواسطتها نتجاوز البعد الخطي للقراءة، لأننا نتحرك في النص على الشكل الذي نريد"[13]. بمعنى نمو النص التفاعلي في شكل طبقات وحُزم تراكمية يسهل التحرك بين جنباتها والوصول إلى رأسياتها أو فروعها بمنتهى اليسر.

- انتفاء الصيغة النخبويّة والصبغة الرسمية والهيمنة السلطوية فلم يعد مطروح أدب الهامش والمركز، فكل ابداع أدبي تفاعلي بإمكانه تجاوز الأفق واختراق الأماكن والفضاءات مهما بعدت ونأت عن الحواضر والمراكز المدنية.

- انصهار الأجناس الأدبية وذوبان الحدود بين الأنواع الإبداعية في الأدب التفاعلي؛ فبعد الحديث عن بينية المناهج النقدية ها نحن مقبلين على بينية الأجناس الفنية وانصهار أشكالها مع بعض في بوتقة النص الأدبي الواحد بما في ذلك من تقنيات تكنولوجية وآليات السمعي البصري وفنيات الاخراج، وبات الحديث مشروعا عن الهايبرتاكست أو النص المتشعب، ومنه كانت تسميته بالأدب التفاعلي جد موفقة فهي تجمع تفاعل على صعيدين:

تفاعل داخلي: ناشئ بين مختلف الأجناس الأدبية وأنماط الفن والطبوع الموسيقى من جهة وتقنيات العلم والديجيتال والبرمجيات المتطورة من جهة أخرى.

تفاعل خارجي: بين المنتج والمتلقي، وهو تفاعل سرعان ما يتحول إلى **تفاعل داخلي في شكل لولبي** آخذ في الانتشار والاتساع بمجرد تفاعل المتلقي مع وسائط النص وترك اضافاته واقتراحاته الانتاجية له.

ثانياً: المتلقي التفاعلي

هذا فيما يخصّ المبدع أما إذا نظرنا للمتلقي وجدنا أنه قد تحقق له الآتي:

- لقد حقق الوسيط التكنولوجي الذكي أقصى انفتاح يمكن أن يحوزه المتلقي في يوم ما، فإذا كانت نظرية التلقي منحت سلطة قراءة النص الأدبي بين يديه **فإنه اليوم مع ما أتاحه له العالم الرقمي أصبح جزء لا يتجزأ من العملية الإبداعية نفسها في تكوينها ونشأتها الأولى** بحيث **أضحى عنصرا أصيلا وعمله ودوره مواز لدور مبدع النص الأدبي فهما يتشاركان معا في كتابته واخراجه ومنحه الحياة وقوة التأثير** وتحقيق أكبر قدر ممكن من التفاعل الإيجابي مع الغير.

- إن المتلقي المتفاعل مبدع ثاني للنص الأدبي الرقمي وفق مبدأ التناوب والتداخل والتفاعل والتقاطع والتداخل والحذف والزيادة والتحوير والاستبدال والتثمين والإثراء...

- إن التفاعلية الايجابية تتيح للمستخدمين" أن يُعدّلوا أو يحذفوا زمرا نصيّة، وأن يُعدّلوا كذلك الوصلات بين هذه الزمر النصية. ولكن كلّ ذلك مقيّد بقيود وقواعد للتّصرف بالنصوص. وهذا النسق يمكن أن ينقل عمليّة تأليف النصوص نقلة نوعية من التأليف الفردي إلى التأليف الجماعي. كما أنّ له درجات أكثر تعقيدا كفيلة بإعطاء القراء فرصا ممتازة لإغناء النصوص، بحيث تخرج جماعية النص من نطاق مجموعة المؤلفين إلى نطاق مجموعات المؤلفين ومجموعات القراء المهتمين"[14].

- والمتلقي أمام حجم تلك المسؤولية المنوطة به والفرصة المتاحة له مطالب هو الآخر بتطوير وتحديث مهاراته الرقمية ومزامنتها لكل جديد يطرأ على ساحتها. فالنص الأدبي الرقمي مثلما هو مشترط للأداة الإلكترونية في انتاجه وبث مضامينه، لا يمكن تلقيه أيضا إلا عبر الوسيط الإلكتروني ذاته.

- تمنح الروابط التي تنشئها العملية الابداعية الأدبية الرقمية خيارات أكثر للقراءة التفاعلية وحرية أكبر لتلقي النص.

- لم يعد القارئ التفاعلي مطالب بالقراءة والتأويل ومحاصرة مقاصد المبدع فحسب انما حقق لنفسه وجودا يفوق كل ذلك باعتباره منتج آخر للنص الأدبي ومغير في متنه ومتحكم في مجرياته ومتفاعل معه بضروب وكيفيات متنوعة.

- ومنه أمكننا القول فعلا أن **النص التفاعلي وثيقة بينية وحالة ابداعية مشتركة يمسك بطرفيها المبدع والمتلقي معا**، ولكل منهما سلطته وسطوته على ما ينتج منه عبر ما تتيحه له تقنية الوسائط المتعددة والروابط المتشعبة من امكانات تفاعلية فائقة الدقة، وباتت مساحة المتلقي تعادل مساحة المبدع وقد تفوقه أحيانا.

- يمكن للمتلقي العودة للنص الأدبي مرات ومرات في أي زمان ومكان من أجل التنقيح والزيادة والتفاعل والتصحيح ضمن عملية التغذية الراجعة (الفيدباك)[15].

- قارئ اليوم هو قارئ من **طراز جديد**؛ قارئ تُحقق له الثورة الرقمية امكانية ترك بصمته فيما يقرأ؛ إنه **قارئ مبدعٌ منتجٌ إيجابيٌّ**، يتمكن من فك الشفرات التفاعلية وتنشيط مختلف الروابط والوسائط النصية، مستثمرا الحركة والصوت والصورة واللون ومؤثرات عدة يراها بحسب ذوقه تثري التجربة الأدبية التفاعية أكثر. ناقد يملك إضافة إلى الحس النقدي الأدبي، خبرة واسعة واطلاع متجدد على البرمجيات والتقنيات الرقمية، ودراية بألوان الطيف وتدرجاتها وتفسيراتها، علم الأصوات والبرمجيات اللغوية، النوتات الموسيقية مصادرها وتأثيراتها...

- إن تعدد وتطور خبرات القراء وتعدد تجاربهم وتنوع مصادرهم المعرفية يدفعه باستمرار للبحث عن نصوص أدبية تحقق لهم مستوى عالي من التفاعل الذكي وتخلق لهم المتعة الجمالية التي تشبع ذائقتهم الذهنية.

- التواصل الثقافي المتنوع بين المجتمعات والحضارات وتبادل الخبرات وتنوعها.

- سهولة الوصول إلى النصوص ودوام بقائها وحفضها.

- تخفيف الحواجز النفسية بين المبدع والمتلقي.

- الإعلاء من شأن المتلقي الذي أهمل لسنين، فالنص تحت تصرفه خاضع لرغبته وحريته في ابداء رأيه وتصوره لمجريات الأمور، يعدل يكمل يغير له تفويض كامل من المبدع الأصلي لإبداء إرادته وتحقيق حريته.

- الحوار الحي والفعال والمباشر بين رواد الفضاء الافتراضي ومستخدميه تتيح لهم التعرف على ردود الفعل والحديث عن التجربة التي رافقت عملية القراءة وإعادة إنتاج النص.

أما ما يمكننا قوله عن **النص الأدبي التفاعلي:**

- فقد حاكى النص الأدبي الرقمي **الشبكة العنكبوتية في شكلها وتفاعلها وتشابكها وتفرعها وتناسلها وسرعتها ليصبح هو بدوره عنكبوتي البنية والشكل والمضمون** متشعب الروابط، مشدود بخيط رفيع يمسك بزمامه المبدع تارة والمتلقي تارة أخره.

- ليقدم لنا حديثا نصوصا حيوية تحفل بروح التفاعل وتتجاوز الصورة النمطية التقليدية لعرض النصوص الأدبية وتقديمها.

- نصوصا مفتوحة بلا حدود؛ لا بدايات ولا نهايات.

- نصوصا تجمع جماليات الفن من موسيقى ورسم خاصة، وإبداعات الأدب الشعرية والنثرية والسردية، ومتعة الدراما من تمثيل ومسرح، ودقة التكنولوجيا والحرف الرقمية، التقنيات اللغوية والصوتية، الهندسة والتصميم، وجغرافيا الاحصاء والتخطيط البيانات، ومجالات السمعي والبصري أو المرئيات...

2/ المحاذير:

ورغم كل ما تكرس للنص الأدبي التفاعلي من تحولات وتغيرات جذرية على مستوى مادته وشكله وغاياته وأداة كتابته ونشره وتلقيه، إلا أنّه يصطدم بالعديد من القراء الرافضين له خاصّة أصحاب الرؤى القديمة والأعراف التقليدية والذوق الأدبي الأصيل المرجعي والثابت؛ بدعوى أن النص التفاعلي لا يحقق لهم أي متع ذهنية ولا يثير فيهم أي حسّ جمالي لكونه غامض ومشوش ومرتبك ومضطرب ومتحول تماما عن أصله

متمرد عليه، ويبدو أن مثل هؤلاء الأدباء والمثقفين يعانون من الخوف المرضي من التكنولوجيا والأجهزة الحديثة بعامّة...وتعرف باسم رهاب التكنولوجيا أو التكنوفوبيا"[16].

وقد يصوغ هؤلاء جملة من المحاذير حول هذا المسخ النصي الجديد لعل من أبرزها:

* كسر حواجز السائد والمألوف بحسب التقاليد الصارمة للشعرية العربية والبعد الخطي الورقي المبجّل.

* فتح الباب على مصراعيه أمام تعداد هائل من المبدعين من الجيل الجديد دون التأكد من كفاءتهم ومقدرتهم على الابداع الأدبي الناضج.

* توالد النص التفاعلي وعدم محدودية شكله الخارجي في أطر مضبوطة وقياسية ومنه اندثار لمفاهيم: النص وسلطة النص الشكل والمحتوى...

* أن النص الأدبي التفاعلي نص مفتوح قد يضع بدايته المنتج ولكن ليس له أن يضع نهايته فالأمر ملقى بين أيدي القراء يدرجون فيه النهايات التي يرونها من وجهة نظرهم أنسب لهم ولنا أن نتصور حجم النهايات التي سيوشح بها ختام هذا النص استنادا لعدد متلقيه وطوائفهم الفكرية وأهوائهم الوجدانية وميولهم النفسية ومقاصدهم القرائية ... ومنه زمن انجاز النص واكتماله بات أمرا مستحيلا.

* لا يزال هذا النص الجديد ينتظر نقدا يتلقفه من فخ العبثية والعشوائية والتجارب الفردية اللامحدودة والمشتتة نقد جديد تفاعلي هو الآخر من جنس النص الذي ينقده رقمي البناء والتفكير والآلية الاجرائية النقدية، أكثر إحاطة بهذا النص، يضع في اعتباراته مختلف القوالب والوسائط التي استحدثها النص الأدبي التفاعلي، مطلع على الطاقات الهائلة التي تتيحها المعلوماتية الحديثة، حتى يتمكن من التقنين ووضع القواعد والضوابط التي من شأنها ترشيد الاستعمال العقلاني لهذه الألية البنائية الجديدة.

* مع اقتناع تام بعدم جدوى تلك المناهج الموجهة للنص الورقي بالأساس فالمادة والغاية تختلف وجمهور القراء مختلف، وفضاء العرض والنشر والتوزيع مختلف أيضا.

* إنّ المساهمة المزدوجة والخلق متعدد الأطراف للنص الأدبي التفاعلي بين منتجه ومتلقيه تجعل من المستحيل معها نسبة النص الأدبي لصاحبه وضبط حقوق الملكية عليه، لقد أصبح النص الأدبي ملك مشاع فأسقطت ملكيته الفكرية وحصرية إنتاجه على المبدع الواحد، إذ بات من الممكن أن يتدخل القارئ حتى في عنوان النص وهو ما يدفعنا للتساؤل عن صاحب الملكية الفكرية؟

* أصبح النص الأدبي الجديد كيان جديد تخطى حدود الشكل الكتابي والبناء الخطي والعلامات اللغوية إلى وسائط صوتية وبصرية ووثائق وملفات وبرامج وتقنيات مختلفة تماما عما سبق.

* ليس للمبدع سوى المادة الأولية من نصه، والمتلقي له دور تأثيث المعنى وإكمال الشكل، فيثمن ويشبع تلك الروابط المختلفة بأفكاره.

* انتفاء سلطة الكلمة واللغة في الأدب التفاعلي؛ كونه نسيج قوامه وسائط رقمية وبرمجيات حاسوبية يصعب تقبل أنها من دعائم وركائز البناء الداخلي لخلق النص الأدبي الأصيل.

* انفتاح مرعب لمفاهيم الاجناس الأدبية وانفلات حدودها وتماهي أشكالها ببعض المستحدثة منها والهجينة، وهو ما يجعلنا بإزاء منظومة مفاهيمية تجنيسية مغايرة تقتضي جهازا اصطلاحيا جديدا مواكب للهزة الأرضية التي أصابتها والثورة البركانية التي صهرت حدودها وأساسياتها وأبجدياتها المرجعية.

* بروز محاذير وأزمات حتمها الانفتاح اللامعقول على الوسائط التكنولوجية من مثل القرصنة والرقابة الإلكترونية والجوسسة وسرقة المعلومات والبيانات ومعايير مختلفة تتحكم بها مصادر الجهات المسؤولة التي تعرض المدونات الأدبية.

* إنَّ ثورة التكنولوجيا والنشر الإلكتروني وفضاءات الإنترنت وتطبيقات الميديا المتنوعة والتقنية الرقمية الحاسوبية تسببت في انحصار دور مؤسسات بأكملها خاصّة تلك التي عمادها الورق (دور الطباعة والنشر والتوزيع والاشهار...)

* رغم جماليات هذه التجربة التفاعلية الجديدة يبقى علينا الحذر في التعامل بها ومعها، خاصّة أمام هذا الإقبال المتزايد عليها، وتبقى الموهبة والثقافة هي الفيصل في الحكم على النصوص الأدبية التفاعلية، وعلى مدى أدبيتها وتماسكها وليس مجرد استخدامها للتقنية واللعب على وترها ضمن نصوص ضعيفة لا بنيان لها أساسا[17].

* إنّ أي تأخر أو صدود من القراء لمدونة ما أو انتاج أدبي تفاعلي معين قد يصيب المبدع له بإحباط خصوصا أصحاب التجارب الفتية منهم، ويزداد الأمر صعوبة إذا علمنا أننا إزاء قراء ميزتهم الملل والصدود عند أوّل إطناب يقع فيه الكاتب.

قائمة المصادر والمراجع:

1. جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، نحو المقاربة الوسائطية، الجزء الأول المستوى النظري، ط: 1، 2016م.

2. محمد مريني: النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي، كتاب الروافد، العدد 089، مارس 2015م، دار الثقافة والاعلام، حكومة الشارقة.

3. فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط: 1، 2006م، الدار البيضاء- المغرب.

4. مصطفى عبد الله: عصف النص الأدبي، المجلة العربية، أدب الوسائط المرتبكة، ترجمة: نادرة للزركي/جميل الحجيلان/ سيرة منتظرة، أهم مهارات القرن الثاني والعشرون، نوفمبر 2019، ربيع الأوّل 1441هـ.

5. فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط: 1، 2006م، الدار البيضاء- المغرب.

6. أحمد فضل شبلول: أدباء الأنترنت أدباء المستقبل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط: 2، اسكندرية مصر، 1999م.

الهوامش:

[1] من أسمائه المختلفة: الأدب الإلكتروني، والأدب الديجتالي، والنص المترابط، الأدب المتشعّب، الأدب المتعالق، الأدب الإعلامي، الأدب الإنترنيتي، الأدب الفيسبوكي، الأدب الهاتفي، الأدب الروبوتي، الأدب الآلي، الأدب الرقمي، الأدب التفاعلي، الأدب المتعدد الوسائط...

[2] كلها تحولات شهدها الأدب العربي؛ فمن الأدب الشفهي، إلى الادب الشفهي المكتوب أو المدوّن، ثم إلى الأدب المكتوب أصلا ورقيا وبعدها الأدب الورقي المكتوب أو المحفوظ إلكترونيا والآن الأدب التفاعلي الرقمي بالكلية انتاجا وتداولا وانتشارا، وباب الإبداع مازال مفتوح على المزيد من التحديثات والمستجدات؟

[3] ينظر: جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، نحو المقاربة الوسائطية، الجزء الأول المستوى النظري، ط: 1، 2016م، ص: 12- 13.

[4] محمد مريني: النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي، كتاب الروافد، العدد089، مارس 2015م، دار الثقافة والاعلام، حكومة الشارقة، ص: 23- 24.

[5] جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، ص: 17.

[6] جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، ص: 27.

[7] جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، ص: 26.

[8] نفسه، ص: 28.

[9] نفسه، ص: 31.

[10] فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط: 1، 2006م، الدار البيضاء- المغرب، ص: 49.

[11] استنادا للكثير من النقاشات التي دارت بيني وبين ذوي الشأن والاختصاص خاصة أصحاب المدونات التفاعلية وأخصّ بالذكر منهم الأستاذ الدكتور الزميل: حمزة قريرة صاحب مدونة الأدب التفاعلي المهتمّة بمختلف الأجناس الأدبية التفاعلية.

[12] مصطفى عبد الله: عصف النص الأدبي، المجلة العربية، أدب الوسائط المرتبكة، ترجمة: نادرة للزركي/جميل الحجيلان/ سيرة منتظرة، أهم مهارات القرن الثاني والعشرون، نوفمبر 2019، ربيع الأوّل 1441هـ، ص: 21.

[13] جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، نحو المقاربة الوسائطية، الجزء الأول المستوى النظري، ط: 1، 2016م، ص:14-15.

[14] فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط: 1، 2006م، الدار البيضاء- المغرب، ص: 23.

[15] ينظر: جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، ص: 32.

[16] أحمد فضل شبلول: أدباء الأنترنت أدباء المستقبل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط: 2، اسكندرية مصر، 1999م، ص:25.

[17] ينظر: مصطفى عبد الله: عصف النص الأدبي، المجلة العربية، أدب الوسائط المرتبكة، ترجمة: نادرة للزركي/جميل الحجيلان/ سيرة منتظرة، أهم مهارات القرن الثاني والعشرون، نوفمبر 2019، ربيع الأوّل 1441هـ، ص: 22.